

النظام من الإيمان

مركز نون للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

النظام من الإيمان



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب :النظام من الإيمان

تأليف : مركز نون للتأليف والترجمة

نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

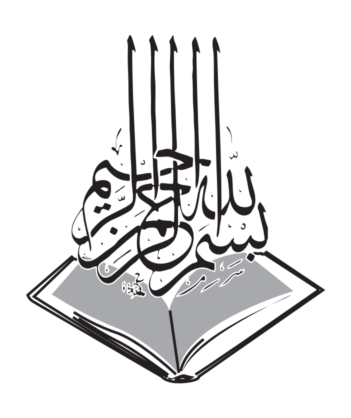
الطبعة الأولى تشرين الثاني 2009م - 1430هـ

النظام من الإيمان

إعداد

مركز نون للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله ربّ العالميـن، والصلاة والسـلام على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تعتبـر الأجيال الصاعدة ثمار المستقبل، ورياحين الأيّام، فهم الأمـل الحقيقيّ الذي تُبنى لـه الأوطان، وهم الطموح الـذي تعدّ له الركائز والبُنى، ومـا مِن دولة أو مجتمع تأصّل فـي التاريخ، وتطاولت أيّامه، إلا لأجل ما اعتمد في تشكيله وبنيته على الأجيال الصاعدة، فأسّس لهم نظاماً يعيشون في ظلّه، يرعى مصالحهم، ويهتمّ بمستقبلهم، لأنّهم العماد له، وحيـاة الروح في استمراره، فكان علـى النظام حقّ، وعلى الأجيال حقّ مقابل.

فحقّـه أن يرعى مصالحهم واهتماماتهم، ويؤسّس لهم ما يساعدهـم على شـقّ طريق الحياة باتجـاه التكامل والرقيّ،

ومن ضمن ذلك وضعُ النظام العامّ في بلدهم، الذي يحضن كلّ أفراد المجتمع، بما فيه هم.

وحقّهم أن يتعرّفوا على هذا النظام، ويكونوا أوّل الملتزمين به، والسائرين في نظامه، لأنّهم إن اعتادوا على تطبيقه، كانوا المجتمع الأمثل المنظّم، وإن لم يمتثلوا هذا النظام، كانوا يبنون بلدهم في ظلّ الفوضى، وبالتالي لم يحقّقوا الأهداف التي رُسمت لهم، وخُطّت لأجلهم.

من هنا كان النظام العامّ، أوّل خطوة يخطوها باتجاه الهدف، تنطلق من المدرسة، حيث الاجتماع الأكبر لبراعم المستقبل، وحيث يكون أبرز نماذج النظام، باللباس الموحّد، والصفّ الواحد، والخطوة المنتظمة، والوقت الدقيق، والموعد والدرس والامتحان، و... حيث يجري فيه النظام المدرسيّ الدقيق، وهذا نظام عامّ في دائرة المدرسة، فهم أحرى الناس ليظهروا الالتزام بالنظام الأوسع دائرة، والأبعد أُفقاً، والأعمق غوراً، ليكونوا القدوة في الحياة.

من هنا ارتأت جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة أن تضع بين يدي أبنائها الأحباء، مادّة متواضعة حول النظام العامّ وأهمّيته، وأبرز مفرداته، دون التعرّض لبعض المصاديق

الخطـرة، من قبيل؛ سرقة الكهربـاء والتعليق، وعدم الإلتزام بنظـام المرور ومـا شابه، لكون ذلك لا علاقـة له بالطّلاب البراعـم، مقتصرةً على هذه المـادة وتاركةً الأمثلة والتطبيق على عهدة الأساتذة والمربّين الكرام، معتمدةً على حكمتهم فـي اختيـار الأمثلة المناسبـة للمجتمع الـذي يطرحون فيه محاضرتهـم، ويبنـون أجيالهم عسى أن يكـون هذا الجهد المتواضع عوناً على التعرّف على النظام العام، ومساهمة في تطبيقه، آملة الجمعيّة مـن المولى عزّ وجلّ تسديد الخطى، وتحقيـق المبتغى، وقبول الأعمـال، إنّه نِعـم المولى ونِعم المجيب.

مركز نون للتأليف والترجمة

تمهيد:

قبل الدخول فـي التعرّض لما هو المهمّ من الحفاظ على النظام العـامّ، لا بأس بالتعرّض لبعض الأمور الضروريّة، من تعريف النظام العـامّ وأهمّيته، سيّما مـن الناحية الإسلاميّة، حتّـى يمكن لنا فصـل البحث ووضع النقـاط في مواضعها الصحيحة.

- ما هو النظام العامّ؟

النظـام هـو العـادة أو الطريقة، وعندما نضيـف إلى هذه الكلمة مفردة أخرى فنضيف (العامّ)، فإنّ المراد هو الطريقة المتّبعة في مجتمع ما أو بلد ما بهدف تنظيم أمور هذه الدولة وهذا المجتمع.

ولـو أضفنـا إلى ذلك مفـردة أخرى فقلنـا (حفظ النظام العـامّ) فإنّ المراد من ذلك هو: إدارة شؤون المجتمع بنحو تنتظم علاقاته الداخليّة بنحو لا يقع في الفوضى، نتيجة عدم الالتزام بما تلزمنا به هذه العلاقات من أحكام.

وإذا أضفنا كلمة (تطبيق النظام العامّ) فإنّ المراد الالتزام العمليّ في حياتنا اليوميّة بهذا النظام المطلوب، بنحو لا نقع في الفوضى بسبب عدم تطبيقه، من تعدٍّ على حقوق الآخرين، أو هدر مصالحهم، أو إيصال الأذى إليهم في أيّ جانب من الجوانب.

إذاً، النظام العامّ هو عبارة عن القواعد التي ترمي إلى تحقيق المصلحة العامّة للمجتمع، فتشمل الأمور الاجتماعيّة، والاقتصاديّة وغيرها ممّا يتعلّق بحياة الناس الماديّة والمعنويّة.

ـ أهميّة حفظ النظام العامّ

إنّ الحفاظ على النظام العامّ من الأمور التي لا ينبغي أن يختلف في أهمّيته اثنان، لكن لا بأس بالإشارة إلى ذلك، ليكون دافعاً وحافزاً للعمل به، والالتزام بتطبيق قوانيه، ومنبّهاً لتحصيل نيّة القربى عند امتثال مفرداته، لما في ذلك من النفع في الدنيا، والأجر والثواب في الآخرة.

١ـ العقل والعقلاء

إنّ مسألة حفظ النظام هي من الأمور العقليّة التي يدركها

الإنسان بفطرته، لأنّه يـرى فيها حفظ مصالحه التي تتوقّف عليها حياته، ويحتاج إليها في معاشه.

كمـا أنّ العقلاء متّفقون على أنّ حفـظ النظام ضروريّ، لنفس السبـب المتقدّم؛ من حفظ مصالـح الناس، فلا نجد مجتمعاً من الناس مهما كان صغيراً، إلا ويرى ضرورة ذلك، بـل ويوجهّون لومهم لكلّ من يخالف النظام العامّ، ويسبّب الفوضى في هذه المجتمعات.

ويشهـد على ذلك وجـدانُ كلِّ إنسـان منّـا، فإنّه يشعر بالانزعاج وعدم الرضا من مظاهر الإخلال بالنظام العامّ، لا سيما عندما يرتبط ذلك بأموره الشخصيّة، وبالأخص عندما تصدر مـن إنسان مسلـم، يعيش معه ويشاركـه في العقيدة والإيمـان، وهـو المتوقّع منـه أن يكون القـدوة في تطبيق تعاليم الإسلام التي ليست هي إلا نظاماً عامّاً لصلاح البشريّة جمعاء.

٢ـ التعاليم الدينيّة وحفظ النظام

أ- الهدف من بعثة الأنبياء

لقد اهتـمّ الدين الإسلاميّ بكلّ ناحيـة من نواحي الحياة

الإنسانيـة بالقدر الـلازم من الاهتمام، وعلى هـذا الأساس بـذل بالنسبة إلى صيانة حقـوق الإنسان وحفظ النظام العامّ الأهميّـة البالغة لهـذه الناحية من حيـاة الإنسان، فشرع لها القوانين الحقوقية الثابتة، وحدّد علاقة الإنسان وما يجب له، وما يجب عليه تجاه الآخرين، ونظّم صلة الفرد بالمجتمع، وحـدود المسؤوليّات الفرديّـة والاجتماعيّة، إلى غير ذلك من المسائل المتعلّقة بهذا المجال من مجالات الحياة.

قـال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيـزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْـطِ**﴾[1] فالغرض من خلق الإنسان هو إيصاله عن اختيـار إلى الكمال المعنويّ، والفوز برضى الله عـزّ وجلّ والقرب منه، وذلك لا يتحقّق إلا بتنمية الروح الإنسانيّـة المودعـة فيه وفطرتـه السليمة التـي خلق عليها، وتعديـل الغرائز المختلفـة الكائنة فيه، فأرسـل الله سبحانه رسلـه بالبيّنات، وأنـزل معهم الكتـاب والحكمة والميزان لتحقيق هـذا الغرض، وقال النبـيّ ﷺ: «**إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»، فجاء ﷺ: بتعاليم أخلاقيّة سامية، وعلّم الكتـاب والحكمة، ودعا إلى تهذيب النفوس، وأمر بالعدل والإحسـان، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وقد نجح – إلـى حـدّ بعيـد – في هذا المجـال، فكان فـي نفس كلّ

(١) الحديد:٢٥

إنسان مسلم متأدّب بآدابه، وازع داخليّ يمنعه من الاقتراب مـن أموال الآخريـن، والنيل من أعراضهـم، والتعدّي على حقوقهم.

من أدوار الإمام

كذلـك الإمامة فإنّ الله عزّ وجلّ جعل للناس أئمّة من بعد النبيّ ﷺ، ليحفظ بذلك نظامهم وحياتهم العامّة، فقد ورد عـن أمير المؤمنين عليه السلام في نهـج البلاغة قوله: **«فرض الله الإيمان تطهيرا من الشرك . . . والإمامة نظاماً للأمّة والطاعة تعظيماً للإمامة»**[1].

وفي أصول الكافي عن الرضا عليه السلام في حديث طويل: **«إنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين»**[2].

ب ـ سنّة الاستخلاف

يقول تعالـى في كتابه العزيز: **﴿... هُـوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾**[3].

(١) بحار الأنوار-العلامة المجلسي- ج٦ ص١١١
(٢) الكافي-الشيخ الكليني-ج١ ص٢٠٠
(٣) هود:٦١

أي طلب إليكم أن تعمروها. وبحسب تعبير العلامة الطباطبائيّ في تفسير الآية؛ أنّه تعالى هو الذي أوجد على الموادّ الأرضيّة هذا الموجود المسمّى بالإنسان، ثمّ كمّله بالتربية شيئاً فشيئاً، وفطره على أن يتصرّف في الأرض بتحويلها إلى حال ينتفع بها في حياته، أي فطره على أن يسعى في طلب إعمارها، فعمارة الأرض هي من فطرة الله في خلقه.

وعمارة الأرض تقتضي حمايتها، وحظر الإفساد فيها بتخريب عامرها، وتلويث طاهرها، وإهلاك أحيائها، وإتلاف طيّباتها.

كما أنّ الإنسان أنيط به خلافة الأرض: ﴿...**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ...﴾[1].

ومعنى الاستخلاف هو أنَّ الإنسان وصيٌّ على هذه البيئة (الأرض)، ومستخلَف على إدارتها وإعمارها وأمينٌ عليها، ومقتضى هذه الأمانة أن يتصرّف فيما استخلف فيه تصرّف الأمين عليها من حسن استغلالها وصيانتها والمحافظة عليها.

---

(١) البقرة:٣٠

والديـن من خلال اهتمامه بالإنسان، باعتباره محور هذا الوجود، وكلّ ما فيه مسخّر لأجله، كان لا بدّ من أن ينعكس هـذا الاهتمام على كلّ ما له علاقة بـه، ومن ضمنها الطبيعة التـي هي المحور الآخـر لعلاقة الإنسان بعـد علاقته بأخيه الإنسـان، وكلّ واحد من المحورين له تأثير في الآخر، كما ربما يظهـر من الآية الكريمة: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ...**﴾[1].

٣ـ الإخلال بالنظام العامّ وتشويه صورة الإسلام

يترصّـد الغـرب المسلمين، فهو لا يدع فرصـةً ينفذ من خلالهـا لتشويه صـورة الإسلام إلا واستغلّهـا، ومن الأمور التي يثيرهاالغرب دائماً ويعكس عن الإسلام صورة غير نقيّة هي، طريقة عيش المسلمين، فعندما يرى الفوضى سائدة في مجتمعاتهـم يستغلّ ذلك ليتّهم المسلمين بأنّهم فوضويّون، بل ولأجل أن يتّهم الإسلام بالتقصير في هذا المجال، معتبراً ذلك سبباً للنفور من هذا الدين القيّم.

بينمـا نجد في المقابل الحثّ الأكيـد للدين بشكل عامّ، وللأئمّـة من أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ بشكل خاصّ لأتباعهم على

---

(١) الروم:٤١

أن يتجنّبوا كلّ ما يكون سبباً لتشنيع الأعداء عليهم، وبابُ التشنيع هذا يفتحه أتباع الأئمّة من خلال سلوكهم، ما يكون موجباً لنفور الناس منهم، ففي الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام: **«عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد وأداء الأمانة وصدق الحديث، وحُسن الجوار، فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، صِلوا في عشائركم، وصِلوا أرحامكم، وعودوا مرضاكم، واحضروا جنائزكم، كونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، حبّبونا إلى الناس، ولا تبغّضونا، جرّوا إلينا كلَّ مودة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح، وما قيل فينا من خير فنحن أهله، وما قيل فينا من شرّ فما نحن كذلك، والحمد لله ربّ العالمين»**[1].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: **«كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا، حتّى يقولوا: رحم الله جعفر بن محمّد فلقد أدّب أصحابه»**[2].

٤ـ حرمة التصرف في مال الغير (الغصب)

يقول الإمام الخامنائيّ في جواب له عن استفتاء حول ماليّة المرافق والمؤسّسات العامّة التي تملكها الدولة:

(١) بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٥ ص ٣٤٩

(٢) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام - الحاج حسين الشاكري ج ٩ ص ٢٠٠

(أمـوال الدولة ولو كانت غير إسلاميّـة تعتبر شرعاً ملكاً للدولة، ويتعامل معها معاملة الملك المعلوم مالكه، ويتوقّف جـواز التصـرّف فيها علـى إذن المسـؤول الذي بيـده أمر التصرّف في هذه الأموال)[١].

ويقـول أيضـاً في جـواب عن سـؤال آخر يرتبـط بنفس الموضوع:

(لا فرق في وجوب مراعاة احترام مال الغير، وفي حرمة التصرّف فيه بغير إذنه، بين أملاك الأشخاص وبين أموال الدولة، مسلمة كانت أو غير مسلمة، ولا بين أن يكون ذلك في بلاد الكفر أو في البلاد الإسلاميّة، ولا بين كون المالك مسلماً أو كافراً، وبشكل عامّ تكون الاستفادة والتصرّف غير الجائز شرعاً في أموال وأملاك الغير غصباً وحراماً وموجباً للضمان)[٢].

ـ كيف نحافظ على النظام العامّ؟

إنّ المحافظة على النظام العامّ تتمّ من خلال التزام كلّ فرد منّـا بقرارة نفسه، بعدم فعل كلّ ما يكون موجباً للفوضى أو التعدّي على حقوق الآخرين.

(١) أجوبة الاستفتاءات السيد علي الخامنئي - ج ٢ ص ٣٢٥

(٢) م.ن. ٢ ص ٣٢٥

ونشيـر هنا إلى بعض المفردات التـي يقع فيها الكثير من الناس، وهي نماذج بارزة للإخلال بالنظام العامّ، وقد شاعت حتّى صارت عادةً لدى البعض منهم:

١ـ الكهرباء

يجب على الإنسان نبذ الإسراف وسلوك الطريق الوسطى؛ فلا إفراط ولا تفريط، وهو مبدأ عامّ لا يختصّ في جانب معيّن، فقد نهى الإسلام عن الإسراف لما فيه من أضرار كثيرة، وهو كلّ سلوك يتعدّى الحدود المعقولة والمقبولة، ﴿...**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[1].

﴿... **وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً**﴾[2].

فهذا النصّ القرآنيّ عامّ يشمل كلّ سلوك إنسانيّ.

عليك التطبيق:

ـ ضوء لا تحتاجه إسراف.

ـ جهاز لا تستخدمه إسراف.

---

(١) الأعراف:٣١

(٢) الإسراء:٢٦-٢٧

٢ـ الماء

لا شـكّ أنّ قلّـة الماء تؤثّـر سلبـاً على نمـوّ النبات، وبالتالي على حياة الحيوان، فالواجـب يقتضي الحفاظ على هـذا الماء، وعـدم الإسراف فـي استخدامه، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«أدنى الإسراف هراقة فضل الإناء»**(١).

فالنهي عن الإسراف يشمل استخدام هذه الثروة المائيّة، التـي بـدأ العلماء يتحدّثـون عن قلّتهـا وعدم كفايتهـا لسدّ حاجات البشر؛ نتيجة الإسراف وسوء الاستخدام.

وعـدم الإسراف في المـاء مطلوب حتّى فـي العبادات، كالوضـوء والغسـل، فقد ورد عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«خيار أمّتي يتوضّؤون بالماء اليسير»**(٢).

٣ـ الطرقات ونظام السير

إنّ حسن استخدام الطرق وإزالة الأذى والضرر عنها ممّا أكّـد عليه الإسـلام، ورغّب فيه انطلاقاً، مـن أحاديث النبيّ وأهل بيته عليهم السلام.

---

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص٦٩٢١.

(٢) الشيخ حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج ١، ص ٣٤٨.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطته الأذى عن الطريق...»**[١].

ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: **«مرّ عيسى بن مريم بقبر يعذّب صاحبه، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب، فقال يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل وهو يعذّب، ومررت به العامّ وهو ليس يعذّب! فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا روح الله قد أدرك له ولد صالح، فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه»**[٢].

وفي الحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنّ على كلّ مسلم في كلّ يوم صدقة.**

قيل: من يطيق ذلك؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«إماطتك الأذى عن الطريق صدقة»**[٣].

وقد ورد عن الإمام الصادق: عليه السلام **«من أضرّ بشيء من طريق المسلمين فهو له ضامن»**[٤].

---

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص١٩٩

(٢) الكافي- الشيخ الكليني- ج٦ ص٣

(٣) مستدرك الوسائل، ج٢، ص٤٠٢، باب ١٦، الحديث السادس

(٤) وسائل الشيعة، ج٢٩، ص٢٤١

ويدخل ضمن الأذى الذي دعا الإسلام إلى رفعه وإماطته عن الطريق، كلّ ما يضرّ بمستخدمي هذه الطرق، نذكر منها على سبيل المثال:

١ ـ إلقـاء الزجاجـات الفارغـة، والأوراق، والنفايـات، وبقايا الطعام.

٢ ـ الإخلال المضرّ بقوانين السير، بحيث يمنع من تعدّي السيارات على الأماكن المعدّة للمشاة (الأرصفة).

٣ـ عـدم السيـر علـى الأرصفة بنحـو يعرّض الإنسان للخطر.

٤ـ اللعب فـي غير الأماكن المخصّصـة لذلك، كالطرق والأرصفة.

٥ـ الجلوس علـى الأرصفـة وفـي أماكن مـرور الناس كمداخل العمارات.

٤ـ البيئة

وقـد أشار القرآن الكريم إلى عمـق ارتباط الإنسان ببيئته في الكثير من آياته الشريفة، ومن هذه الآيات:

﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (١).

﴿الْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾(٢) .

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾(٣).

﴿... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (٤).

- البيئة خُلقت بدقّة بالغة ومتوازنة

خلق اللّه سبحانه وتعالى البيئة وأحكم صنعها بدقّة بالغة؛ من حيث الكمّ والنوع والخصائص والوظيفة.

قال تعالى: ﴿... صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾(٥).

---

(١) إبراهيم:٣٢-٣٣-٣٤

(٢) الرحمن:١٠

(٣) الذاريات:٤٨

(٤) هود:٦١

(٥) النمل:٨٨

فكلّ عنصر من عناصر البيئة بهذا القدر وبهذه الصفات، كمـا حدّدهـا تعالى يكفل لهـذه العناصر أن تـؤدّي دورها المحدّد والمرسوم لها من قبل الخالق القدير، في المشاركة البنّـاءة في الحيـاة فـي توافقيّـة وانسجاميّة غاية فـي الدقّة والتوازن: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[١].

﴿... **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾[٢].

هذا التقدير البالغ الدقّة؛ الذي هو من صنع حكيمٍ خبير هـو الذي يعطي لكلّ عنصر أو مكوّن مـن مكوّنات البيئة طبيعتـه الكمية والنوعيـة، ووظيفته وعلاقتـه بالمكوّنات الأخـرى.

فـإذا كانت الأرض قد خلقـت لخدمة هـذا الإنسان فكيـف يسعـى الإنسـان لنشـر الفسـاد فيهـا، لقـد نهى الإسـلام عن الفسـاد والإفساد: ﴿**وَلا تُفْسِـدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْـدَ إِصْلاحِهَـا..**﴾[٣].

فـكلّ شيء بما فيـه الأرض بشؤونها قائـم على الصلاح

---

(١) القمر:٤٩

(٢) الفرقان:٢

(٣) الأعراف:٥٦ و٨٥

ولكـن الإنسان هو الذي يفسد، وفي قوله تعالى: **﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾**[(١)] .

ورد أنّها نزلت في الأخنس بن شريق الذي أقبل على النبيّ وأعلن إسلامه، ثمّ خرج فمرّ بزرع فأحرقه، وحُمُر فعقرها، فذكر تعالى ما فعله الأخنس بأنّه إفساد ومخالف للسلوك الإسلاميّ القويم.

والتصرّفات المذمومة التي تعتبر من مصاديق الإخلال بالبيئة عديدة، قد ابتلي بها بعض المجتمعات ينبغي أن نحذر من الوقوع فيها منها:

١ـ قلع الأشجار، والأغصان دون غرض مفيد ومهمّ.

٢ـ إيجاد أسباب التلّوث بشتى أنواعه.

الضوضاء

من أنواع التلوّث البيئيّ الذي يشكو منه الكثيرون، التلوّث الضوضائيّ أو السمعيّ، ويراد به الضجيج والأصوات العالية التي تؤذي السمع وتقلق الراحة وتتلف الأعصاب،

(١) البقرة:٢٠٥

وخصوصاً المرضى والأطفال ومن عملهم يحتاج إلى فكر وسكينة وهدوء.

والمحـرّك لهذه الأمور كلّها هو الإنسان، فهو المسؤول عمّـا يعانيه هو نفسـه، والسبب فـي كلّ هـذا السلوك غير السـوي: هـو الغفلة عـن نتائـج تصرّفاتنا تجـاه الآخرين، والاستهتـار بمشاعرهـم وحريّاتهم، والانغماس في محبّة الذات ومـا يرضيها، لذا تجد في الأحاديـث والروايات ما يحثّ الفرد المسلم على الإحساس بالآخرين حتّى يتخلّى عن النوازع الذاتيّـة والعوامل الفرديّة: **«اجعل نفسك ميزاناً بينـك وبين غيرك، فأحبّ لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها»**[١].

فهذه الأطر العامّة تعطي الجواب الجلّي لأيّ تساؤل عن الموقف الشرعيّ، والرواية الإسلاميّة، في مجال ما يمكن أن تسميه بالتلوّث الضوضائيّ، ولكن ماذا عن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الخاصّة الواردة في هذا المجال.

(١) نهج البلاغة، ج٣، وصية ٣١، من وصية الإمام علي لابنه الحسن عليه السلام.

الموقف القرآنيّ

في البداية نقف عند قوله تعالى: ﴿... **وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾[١].

فنجد ذلك الأسلوب الذي يركّز على إبعاد الإنسان نفسيّاً عن رفع صوته، بتجريد علوّ الصوت عن كلّ قيمة جماليّة أو عقلانيّـة، ويا له من تشبيه، فصـوت الحمير أنكر الأصوات لمبالغتها في رفعه، ولذا أمر تعالى بغضّ الصوت، أي النقص والقصـر فيه، وليس القبح من جهة ارتفاع الصوت وطريقته فحسـب، بل من جهـة كونه بلا سبب أحيانـاً؛ قالوا إنّ هذا الحيـوان (الحمار) يطلق صوته أحياناً بـدون مبرّر أو داعٍ، ومن دون أيّ حاجة أو مقدّمة، ويطلقه في محلّه ووقته وفي غيره.

وما يستهدفـه القرآن الكريم هو تربية الـذوق الإنسانيّ، علـى أن يمارس الإنسان وظائـف أعضائه بحكمة وهدوء، دون أن يسيئ إلى نفسه وإلى الآخرين.

وما قدّمنـاه من شجب الإسلام للأصوات العالية والجلبة

---

(١) لقمان، الآية/١٩

والضجيـج، هل يقتصر فيه علـى مضمون دون مضمون؟ أم أنّ الأمر مرتبط بطبيعة الصوت أيّاً كان المحتوى؟

هناك أمور ورد الشرع برفع الصوت فيها من شأنها ألا تحدث ضجيجاً، إذا روعيت فيها تعاليم الشرع وآدابه كالأذان والتلبية في الحجّ، ومن الأمور التي يرجح رفع الصوت فيها صيحات التكبير في الحرب، التي لها تأثيرها في تقوية قلوب الجنود المؤمنين، وبثّ الرعب في قلوب أعدائهم.

أمّـا أن تطلـق الأصوات والمكبّرات فـي أيّ وقت كان، وأن ترفع إلى أبعـد الحدود، بحجّة تضمنها القرآن الكريم، أو غيـر ذلك ممّا هو راجح فـي نفسه، فهذا خاضع للقاعدة العامّة القاضية بضرورة عدم الإساءة إلى الآخرين.

ومن هنـا أفتى بعض الفقهـاء بحرمة استعمـال الجهاز الصوتـيّ بشكل مزعج؛ إذا كان في ذلـك إيذاء للناس، وإن تضمّن قراءة القرآن الكريم.

ختام

بعـد هذا العرض الوجيـز لأهميّة النظام العـام في النظرة الإسلاميّـة والعقلية، وبعد عرض أهـمّ مفردات هذا النظام،

من الحفـاظ على الكهرباء والماء والبيئـة والطرقات ونظام السير، نجد أن الإسلام يدعو لتطبيق أنظمته وتعاليمه ليكون المسلمون هم السبّاقين في نيل شرف صلاح المجتمع، وفي حيـازة قصب السبق في الرقيّ الإنسانـيّ، كما كان الإسلام هو السبّاق في وضع الأنظمة والقوانين والتعاليم السامية.

يداً بيد نحو مجتمع أمثل.

والحمد لله ربّ العالمين.

الفهرس